اللسانيات الاجتماعية والأماكنية... أيّة علاقة ؟ وأي تجاذبات ؟

Sosoilinguistics And Toponymics. Any relatinship ? and Any tugging ?

لغزال محمد [1]

[1]جامعة– ابن طفيل – (المغرب) Laghzalmohamed2@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/12/13 تاريخ القبول: 2021/04/04 تاريخ النشر: 2021/06/01

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تبيان مفهوم اللسانيات الاجتماعية باعتبارها فرعا يتفرع عن اللسانيات العامة الحديثة، وتحاول أن ترصد مباحث هذا المفهوم اللساني الحديث عبر ربطه بمبحث الأماكنية، باعتبار الأماكنية جزءا لا يتجزأ من الدراسة اللسانية الاجتماعية التي تحاول دراسة أسماء الأماكن والكشف في جانب أول عن علاقة اللغة بالمجتمع، ثم التفاعل اللغوي اللهجي فيما بينه، وسنقف على مفهوم المبحثين اللساني الاجتماعي والأماكني، بهدف إعطاء صورة دقيقة وربط الصلة بينهما، فضلا عن رصد العلاقة بين اللسانيات الاجتماعية والأماكنية، وكذا ضبط التجاذبات بين هاذين العلمين باعتبار الأول مفهوما عاما وشاملا، والثاني مفهوما خاصا جزئيا .

الكلمات المفاتيح : الطوبونيميا – اللسانيات الاجتماعية – الطوبونيم – التفاعل اللغوي – الاحتكاك اللغوي

Summary :

This research seeks to define the concept of sociolinguistics as a branch of modern general linguistics, And try to monitor the detectives of this modern linguistic concept by linking it to toponymye, As an integral part of the social linguistic study that tries to study place names and first-hand reveal the relationship of language to society, Then the linguistic interaction between him, and we will stand on the concept of the two sociolinguistics and toponymye, with the aim of giving an accurate picture and linking the link, As well as monitoring the relationship between social linguistics and places name

[1] **المؤلف المرسل: لغزال محمد**

1- اللسانيات الحديثة :

يعتبر البحث اللساني الحديث من المباحث التي شكلت ثورة كبيرة ضمن اللغة وغيرت الكثير من المفاهيم السابقة في دراسة اللغة، إذ مهدت محاضرات في اللسانيات العامة لفرديناند دي سوسير الطريق لكثير من الباحثين للخوض في دواليب البحث اللساني الحديث، سواء ارتبط الأمر دراسة اللغة في معزل عن جميع السياقات وهنا نستحضر ما أبداه دي سوسير باعتباره المؤسس الأول للسانيات البنيوية التي تعتبر اللغة بنية ينبغي دراستها في ذاتها ولأجل ذاتها[2] (**دي سوسير 1972**) .

إن الأفكار التي طرحا دي سوسير في محاضراته عبدت الطريق أمام اللسانيين المحدثين وأقاموا عليها العديد من الأطاريح والنظريات، بل تجاوز الأمر ذلك إلى ظهور مدارس لسانية عديدة تتخذ كل مدرسة نظرية لغوية تبني عليها مبادئها وما تقوم عليه...، ويمكن أن نجمل هذه المدارس وفق اتجاهين:

- ✓ المدارس اللسانية الأوروبية : ويندرج ضمنها مدرسة جنيف البنيوية بزعامة دي سوسير، ومدرسة براغ الوظيفية التي تأثرت قامت على أعمال أندريه مارتيني، ثم مدرسة كوبهانغن النسقية بزعامة يلمسيلف...
- ✓ المدارس اللسانية الأمريكية : هناك العديد من المدارس اللسانية الأمريكية والتي اتخذت من محاضرات دي سوسير منطلقا لها، إلا أنها اختلفت حسب نظرتها للغة، إذ نجد في مقدمتها المدرسة التوزيعية في أعمال بلومفيلد وهاريس، ثم المدرسة التوليدية التحويلية عند شومسكي1956 ، ثم هناك

[2] فرديناند دي سوسير : " محاضرات في علم اللغة العام "، ترجمة : يوسف عزيز، مراجعة يوسف المطلبي 1990م . دار آفاق عربية، بغداد .

المدرسة اللسانية الاجتماعية التي أقيمت على أعمال أنطوان مييي 1926 وفيشمان 1972 ووليام لابوف 1966 وقبله وورف وسابير...

لقد طرحت كل مدرسة لسانية أفكارها ونظرتها للغة وفق التصور الذي تقوم عليه، ونأخذ المدرسة اللسانية الاجتماعية كنموذج ارتأينا أن نقيم عليه هذه الدراسة . إن النظرة اللغوية لمفهوم (اللسانيات الاجتماعية) تبين مكمن هذا التوجه اللساني وهو دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، أو دراسة اللغة وارتباطها بما هو اجتماعي، وهذا لا يخفى كون أب اللسانيات البنيوية دي سوسير قد كشف عن هذا الفرع اللساني في إشارة منه حين اعتبر اللغة نتاج اجتماعي مراسه الكلام ...(**دي سوسير 1972**) .

2- اللسانيات الاجتماعية :

2-1 تاريخ اللسانيات الاجتماعية :

إن العلاقة بين اللغة والمجتمع من المواضيع الرئيسية التي أثارت حفيظة المهتمين بدراسة اللغة منذ قرون، وذلك ما ذكره روبنز (**Robins 1967**) في كتابه " تاريخ اللسانيات عند اليونانيين القدامى " حيث أنهم أبدوا ملاحظات في الاختلاف الموجود بين متكلمي أثينا وباقي المناطق الأخرى[3]، بل تجاوز الأمر الاختلاف إلى محاولة البعض تقليد باقي لهجات المناطق لضرورة تجارية واجتماعية، فاليونان كانوا واعين بالدور الأساس للغة في علاقتها بالمجتمع وأنه لا يمكن تفعيل الطابع التجاري والسياسي لمناطقهم إلا بوجود اللغة .

[3] **محمد أمين مومين** ، مقدمات في السوسيولسانيات " التأويل الاجتماعي للغة " . كلية الآداب والعلوم الإنسانية . الدار البيضاء، ص 149 وما بعدها .

لقد أثبتت الدراسات النحوية القديمة الطابع الاجتماعي للغة، وذلك واضح عند استقراء مؤلفات الباحثين العرب خاصة ما جاء به ابن جني في الخصائص، حيث قال " إن اختلاف الألفاظ والتعابير وعامته إنما هو لغات تداخلت فتراكبت..." ومفاد كلامه أن لغة القوم في البيئة العربية وغيرها كانت مختلفة ومتداخلة والذي ساهم في تداخلها هو لا شك التكلم أو بمعنى أصح المجتمع، إن تقصي كتاب الخصائص يستجلى من خلاله التنوع اللغوي الذي توزع إلى العديد من المناطق كلغة حيمر ولغة قريش ولغة بني نزار...

2-2 نشأة اللسانيات الاجتماعية :

إن ظهور اللسانيات الحديثة والمآل الذي وصلت إليه على المستوى البنيوي جعل دي سوسير يعترف في محاضراته الأخيرة باللسانيات الاجتماعة، ويؤكد على الوقائع الاجتماعية كمكون رئيسي في تكون قيمة الكلمة، وأن الكلام لا يأخذ قيمته إلا داخل النسق الاجتماعي واللغوي، إلا أنه لم يحدد مهام هذا الفرع اللساني[4] ووسائله المنهجية في الدراسة، فقط اكتفى بالإشارة إليه، في حين أتمم هذا الفرع العديد من النصوص والأبحاث التي أقيمت بعد سوسير وخاصة ما طرحه أنطوان مييي 1926 والذي ركز على الخاصية الاجتماعية للغة ولم يفصلها عن المجتمع[5] .

[4] **فرديناند دي سوسير** : " محاضرات في علم اللغة العام " .

[5] أنظر ما أسهم به كل من **أنطوان مييه ووليام لابوف**، مقال لمحمد زيان منشور في مجلة الأبحاث والدراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية عدد 10. 2018 . ص 339 .

إن أفكار ميبي لم تأتي من عدم إنما استند فيها لما قدمه **إميل دوركايم 1874** بخصوص اجتماعية اللغة في حديثه عن التكوين اللغوي للطفل والذي يرتبط بالمجموعة الاجتماعية[6] . إن ما قدمه دوركايم وميبي كان بمثابة اللبنة الأساس في بروز اللسانيات الاجتماعية وأخذها لحيز كبير في دراسة اللغة. وبالرغم من الأعمال الكثيرة التي قدمها هؤلاء الباحثين إلا أن اللسانيات الاجتماعية لم تكتسب أسسها النظرية والمنهجية حتى بداية الستينات من القرن الماضي، ومع ازدهار مبحث اللسانيات وبداية اتصاله بباقي العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والجغرافيا...، فسارع المشتغلون في هذه العلوم في بث جسور المباحث والتقت بذلك اللسانيات بباقي العلوم...

إن تزايد الاهتمام باللسانيات عامة دفع تشومسكي رائد اللسانيات التوليدية التحويلية إلى طرح أفكاره حول نموذج 1957 و 1967، فظهر في أعماله تركيزه على القدرة (Compétence) دون الحديث عن دور الإنجاز (Performance)، وافتراض وجود متكلم- مستمع مثالي دون اللجوء إلى المعطيات الخارجية المؤثرة في اللغة، الشيء الذي ساهم في دفع اللسانيين على الرد عليه محاولين رد الاعتبار للمكون الإنجازي والدور الذي يؤديه في تكوين اللغة، فربطوا في فرضياتهم بين المكون اللغوي من جهة والمعطيات الاجتماعية والثقافية من جهة أخرى . ومن بين الباحثين الذين ربطوا اللسانيات بباقي العلوم ديل هايمز (Dell Hymes 1972)، الذي تحدث عن مفهوم القدرة التواصلية (Communicative Compétence) كبديل عن القدرة اللغوية التي ذكرها تشومسكي، إن

[6] Durkheim. E « Éducation et sociologie, introduction de Paul Fauconnet, Paris 1974

القدرة التواصلي عند هايمز تضم ما اصطلح عليه بقواعد الاستعمال وهي القواعد الثقافية والنفسية والاجتماعية...

ونتيجة لكل هذه الأفكار اتضحت نظرة مجموعة من اللسانيين حول نظرية تشومسكي وعدم قدرتها على الإجابة على العديد من الأسئلة التي طرحتها اللغة، ومنه بدأ التفكير في نظرية شاملة وعامة تدرس اللغة فقامت اللسانيات الاجتماعية كعلم قائم بذاته له مناهجه ووسائله، واتخذ هذا العم العديد من الباحثين في دراستهم للغة، بداية بفيشمان (Fishmen 1972) و حديثه عن الازدواج اللغوي والتعدد اللغوي، ثم لابوف (Labov 1966) والذي أبرز الاختلافات اللغوية في علاقتها بالمجتمع من خلال بحثه في إنجليزية مدينة نيويورك...

قامت اللسانيات الاجتماعية كعلم واضح المعالم له أسسه المعرفية والمنهجية والنظرية كعلم مستقل من خلال الأعمال السابقة الذكر والتي دونت في القرن التاسع عشر والعشرين، وكلها أبحاث تناولت اللغة في علاقتها بالمجتمع، وترتبط هذه الأعمال في عمومها بأعمال أخرى حديثة مثلما قدمه كوبي 1993 و المسعودي 1995 ثم بلونشي 2000... تهتم جلها بالمقاربة النظرية الإمبريقية في حين الأخرى كأعمال لابوف والمسعودي اتخذت الجانب التطبيقي ملاذا لها لتوسع دائرة هذا العلم أكثر وترصد الجانب الإجرائي فيه .

2-3 اللسانيات الاجتماعية " المصطلح والمفهوم " :

لما اتضحت معالم اللسانيات الاجتماعية عند الباحثين اختلفت التسميات فيما بينهم، وواكب اختلاف التسمية اختلاف في المفهوم أيضا، فكل باحث كان يصطلح على اللسانيات الاجتماعية باسم،

ويعرفها انطلاقا من مجال اشتغاله، وقد ظهرت العديد من الأسماء مثل السوسيولسانيات (Sociolinguistique) عند فيشمان و إثنوغرافية الكلام (Ethnography of speech) ومصطلح اللسانيات الأنثربولوجية (Anthropology linguistique) عند...، ثم الإثنولسانيات (Ethno-Linguistique) عند... ثم علم اللغة الاجتماعي عند هدسون وبعدها علم الاجتماع اللغوي الذي نقله الباحث عبد الواحد الوافي ترجمة عن المصطلح الغربي (Socilogie Linguistique)[7]، واللسانيات الاجتماعية...

إن جميع المسميات التي ارتأى الباحثون تسميتها للسانيات الاجتماعية كلها تتفق في جوه الدراسة رغم الاختلاف في الظاهر، يبقى فقط علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي المفهومين اللذان يشوبهما الغموض، ولتوضيح ذلك فالفرق فقط في تأكيد المفهومين[8] حيث إن علم اللغة الاجتماعي يؤكد على الطابع اللغوي في المجتمع ومجال دراسته اللغة بالأساس، في حين إن علم الاجتماع اللغوي يؤكد على دراسة المجتمع انطلاقا من اللغة، أي أن مجال اهتمام الباحث إما يكون منصبا على اللغة أو على المجتمع والأكيد طبعا أن مجال دراستنا هو اللغة في علاقتها بالمجتمع وليس العكس، لذلك فمصطلح علم اللغة الاجتماعي الأقرب لذلك .

[7] علم الاجتماع اللغوي، عبد الفتاح عفيفي، ط1 ، دار الفكر العربي 1995 .

[8] [8] محمد أمين مومين ، مقدمات في السوسيولسانيات " التأويل الاجتماعي للغة " . كلية الآداب والعلوم الإنسانية . الدار البيضاء، ص 154 وما بعدها .

انعكس تعدد تسميات اللسانيات الاجتماعية على مفهومه أيضا، حيث إن الباحثين اختلفوا في تعريفه، كل عرفه من منظوره ومجال تخصصه، إلا أن جوهر اللسانيات الاجتماعية يتفق فيه الجميع.

يعرف فيشمان اللسانيات الاجتماعية بأن " علم يبحث في التفاعل بين السلوك الإنساني المستعمل للغة، وبين التنظيم الاجتماعي له.."[9]، ويعرفه لويس جان كالفي بأنه " فرع من فروع اللسانيات يهتم بالعلاقة بين اللغة والمجتمع، وبالظروف الاجتماعية التي تحيط باللغة وتؤثر فيها.."[10] ، أما علي عبد الواحد الوافي فيعرفه بقوله: " هو دراسة العلاقة بين اللغة والظواهر الاجتماعية، وبيان أثر المجتمع ونظمه وتاريخه وتركيبته وبنيته في مختلف الظواهر اللغوية..."[11] .

أما صبري إبراهيم السيد فيعرف اللسانيات الاجتماعية بأنها : " دراسة اللغة بالنظر إلى المجتمع، ويقتضي هذا أنه جزء من دراسة اللغة، وأن قيمته تكمن في إلقاء الضوء على طبيعة اللغة المتكونة في المجتمع.." ، أما هدسون (Hudson 1980) فيعتبره علما يدرس اللغة في علاقتها بالمجتمع الذي تكونت فيه..."[12] .

---

[9] عز الدين الصحراوي، " اللغة بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية "، مجلة العلوم الإنسانية – جامعة محمد خيضر بسكرة، عدد 5 بتاريخ 2004، ص148

[10] لويس جان كالفي ، ت حسن حمزة، " حرب اللغات والسياسات اللغوية "، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2008 ، . ص400 . بتصرف

[11] علي عبد الواحد الوافي، " علم اللغة "، ط9، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1945.

[12] د. هدسون، ت محمود عبد الغني عياد، " علم اللغة الاجتماعي "، دار الشؤون للثقافة العامة، 1987م .

إن المفاهيم التي قدمت للسانيات الاجتماعية تركز جميعها على مظاهر العلاقة بين اللغة والمجتمع الذي نشأت فيه، فالتعريفات في جوهرها تحاول الكشف عن الأسس والمعايير الاجتماعية التي ساهمت في التغيرات اللغوية بصفة عامة، باعتبارها القواعد الكامنة وراء العمل اللغوي، ومنه يتم رصد التفاعل اللغوي في علاقته بالإنسانية. إن تعدد مفاهيم اللسانيات الاجتماعية قادها إلى الاعتراف بها كجزء من مناهج اللسانيات في الجامعات، وتوالت معه الأبحاث والدراسات التي تكشف علاقة اللغة بالمجتمع .

2-4 اللسانيات الاجتماعية بين النظرية والميدان :

إن اللسانيات الاجتماعية تهتم بالعديد من المتغيرات اللغوية التي لها علاقة بالمجتمع، لكن اهتمامها هذا يقوم على طرح العديد من التساؤلات :

- هل تهتم اللسانيات الاجتماعية بالكلام ؟
- هل هي لسانيات نظرية إمبريقية ؟
- هل هي لسانيات خارجية ميدانية ؟
- ما موقع المتكلم في اللسانيات الاجتماعية ؟[13]

إن طرح هذه التساؤلات يذكرنا بالتقسيم الذي اقترحه هدسون (**1980**) والذي ميز فيه بين اللسانيات الاجتماعية النظرية واللسانيات الاجتماعية الميدانية، فالأولى تعتمد بالأساس على دراسة المعطيات اللغوية المأخوذة من الواقع الاجتماعي (شفهيا – كتابيا ...) بطريقة علمية منظمة وفق منهج

[13] الحضري عبد النور " مدخل إلى اللسانيات الاجتماعية " محاضرات ألقيت على طلبة ماستر اللهجات العربية والادب الشفهي بالمغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن طفيل – المغرب، موسم 2017/2016 .

محدد سلفا ضمن أسس اللسانيات الاجتماعية[14]، فالمعطيات والحقائق العلمية التي يتوصل إليها الباحث تساهم في ربط جسور المعرفة اللغوية الاجتماعية التي يسعى لها السوسيولساني[15] .

تعتمد اللسانيات الاجتماعية الميدانية على جمع الحقائق اللغوية من الجماعات والعشائر... ، ورصد المعلومات المرتبطة بها عن طريق الملاحظة والتجربة العلمية[16]، وهذه المعطيات يبتغي من خلالها اللساني الوصول إلى نتائج ترتبط عموما باللهجات واختلاف الأشكال اللغوية التي تستعملها المجموعات في سياقات مختلفة...، وقد يكتشف من خلالها أيضا الاختلاف النطقي عند المتكلم الواحد، الأمر الذي يحيلنا إلى ثنائية " الميكرو والماكرو سوسيولسانيات " (Macrosociolinguistique –Microsociolinguistique)[17]،

ورغم وجود اختلاف منهجي بين اللسانيات الاجتماعية النظرية والميدانية، إلا أنه يوجد تفاعل مستمر بينهما، بحيث تنتج الأولى التصورات والفرضيات، وتقوم الثانية بإخضاعها للتجربة الميدانية لتأكيد

---

[14] مقدمات في السوسيولسانيات . المصدر السابق نفسه .

[15] نشير إلى أن اعتماد الباحث على تجربته الشخصية في تحليل المعطيات ربما يفضي إلى نتائج غير موضوعية، فالتجربة ليست كافية لوحدها للوصول إلى تعميمات سوسيولسانسة، لذلك وجب الأخذ بعين الاعتبار المنظورات اللسانية المتعددة لتحليل المعطيات ودراستها...

[16] Hudson,R.A (1980) , Sociolinguistique . Cambridge University Press .

[17] حددت اللسانيات الاجتماعية ثنائية الميكرو سوسيولسانيات في أنها ترتكز على الخصوصيات اللغوية والأسلوبية التي تميز تفاعل الفرد الواحد مع أفراد مجتمعه، أما الماكرو سوسيولسانيات فتهتم بمقارنة الأبعاد اللغوية التي تنفرد بها بعض المجموعات أو العشائر دون غيرها..، ومنه فنطاق اشتغال الميكروسوسيولسانيات ضيق بالمقارنة مع الماكروسوسيولسانيات .

مصداقيتها، وقد تأخذ الثانية المعطيات اللغوية من المجتمع لتخضعها الأولى للتحليل والتفسير للوصول إلى حقائق جديدة ربما تكون مبحثا ضمن اللسانيات الاجتماعية .

ويمكن أن نرصد بعض مباحث اللسانيات الاجتماعية كالتالي :

- التنوع اللغوي
- التعدد اللغوي
- الازدواج والثنائية اللغوي
- الاقتراض اللغوي
- التناوب اللغوي
- علم اللهجات
- المتغير اللغوي ...

وتضم اللسانيات الاجتماعية إلى جانب دراسة الازدواج اللغوي والمتغير اللغوي أيضا المشكلات اللهجية الجغرافية، والاجتماعية، وطرائق التأثير بين اللغة والمجتمع والظواهر الناجمة عن التعدد اللغوي، إضافة إلى الجوانب التطبيقية التي تحل المشكلات اللغوية في المجتمع، ولدراسة هذه المباحث وتطبيقها ضمن البعد اللساني الاجتماعي لا بد من وجود معطيات لغوية ذات نمط اجتماعي ثابت ، ومن بين العينات اللغوية التي يمكن أن تجعل السوسيولساني يبحث فيها للوصول إلى نتائج تساهم في بناء التصور اللساني الاجتماعي للعشائر والجماعات هي أسماء الأماكن Les noms de lieu ...

فأسماء الأماكن تنبني على ثنائية " **اللغة**[18] **والمجتمع** "، فتلك الأسماء عبارة عن عينات ومعطيات لغوية ساهمت الجماعات والعشائر في تكوينها على مدى طويل، تختلط ضمنها الأشكال اللغوية وتختزل مجموعة من الظواهر اللسانية التي كوّنتها المجتمعات في تعاقبها، الشيء الذي يجعلها عينات ذات غنى لغوي .

إن دراسة أسماء الأماكن والكشف عن الظواهر اللغوية المرتبطة بها ليس جديدا ضمن اللسانيات الاجتماعية، بل يعد ركيزة أساسية قام عليها علم حديث ظهر في ثلاثينيات القرن الماضي على يد اللساني الفرنسي " **ألبير دوزا** "، ويأخذ اسم **الأماكنية** أو **الطوبونيميا** La Toponymie والذي يهتم بدراسة أسماء الأماكن التي ساهم المجتمع في تكوينها.. كيف ذلك ؟

3– الأماكنية (الطوبونيميا) :

يتضح من خلال تتبع الدراسة اللسانية الاجتماعية أنها تهتم بكل توجه يدرس اللغة أو اللهجة في علاقتها بالمجتمع، أي دراسة المتغير اللغوي الذي يرتبط بالمجتمع ويظهر من خلال كلام الأفراد، ولما كان الأمر كذلك، فالأماكنية هي الأخرى لها علاقة باللغة من جهة وبالمجتمع من جهة أخرى، وقبل الكشف عن هذه العلاقة يتبادر إلى أذهاننا عدة تساؤلات، فما المقصود بالأماكنية أو الطوبونيميا ؟ ، وما الأسس المعرفية والمنهجية التي تأسست عليها الأماكنية ؟ وما مجال اشتغال الباحث الأماكني ؟ ثم كيف

[18] ذكرنا لمفهوم اللغة جاء بشكل عام دون تمييزه عن اللهجة واللّهيجة والعامية...، بل استعملناه للتعبير عن الأشكال اللغوية التي يتم بها التواصل بين الأفراد والجماعات، سواء كانت (لهجات – دوارج – عامية – لُهيجات...) .

تساهم الأماكنية في دراسة اللغة في ارتباطها بالمجتمع ؟ وماهي بعض المصادر القديمة التي تطرقت للأسماء الأماكن ؟

3-1 مفهوم الأماكنية :

تتفرع الأماكنية من علم عام هو الأونوماستيك Onomastique والذي يدرس الأعلام في ارتباطها بالمسميات (أسماء البشر – أسماء الحيوانات – أسماء الكواكب والنجوم...) ويبحث في دلالتها وأصولها ولغتها (**شارل كامبرو 1989**) ، وتندرج الأماكنية أو الطوبونيميا بالمفهوم الغربي ضمن هذا العلم العام كفرع مستقل يدرس أسماء الأماكن التي أسماها البشر سواء قصدا أو اعتباطا، والغرض من دراسة أسماء الأماكن هو تفسير العلاقة بين الاسم ومسماه بمفهوم اللسانيات الاجتماعية " دراسة الاسم اللغوي وعلاقته بالعشيرة اللغوية التي أسمته "، لكن ليس الغرض فقط هو دراسته لغويا إنما تجاوزت الأماكنية ذلك محاولة إدراك الصلة التي تربط الأسماء بالمسميات ثقافيا وتاريخيا واجتماعيا... ونهلت من العديد من العلوم لتحقيق ذلك، لكن يبقى البعد اللغوي أو اللهجي هو الأساس في الدراسة الأماكنية، فلا وجود لدلالات دونما الكشف عن البنية اللغوية للمسمى، وهذا ما دفعنا للقول بالخاصية اللسانية الاجتماعية للأماكنية...

3-2 تاريخ الأماكنية :

إن الثقافة العربية القديمة وفي مقدمتها القرآن الكريم كانت منشئا ومنبعا للأعلام المكانية، فلا اختلاف في كون القدماء قد تطرقوا للأعلام المكانية، حيث أدرجت في المتون أعلام كثيرة، فظهرت بموازاتها مؤلفات وكتب تجرد الأعلام المكانية وتنبئ بأخبارها وما يحدوها من دلالات ، نجد في مقدمة الكتب القرآن الكريم الذي ضمنه الله عز وجل أسماء أماكن كثيرة، بعده تواتر النقاد والمؤلفون بداية بالأصمعي ت

216هـ حيث أشار في مصنفه " اشتقاق الأسماء " إلى أسماء القبائل والأشخاص، ثم ابن دريد ت 321هـ في كتابه " الاشتقاق " وخص بعضه لدراسة أسماء القبائل...، أضف إلى ذلك " معجم البلدان " لياقوت الحموي ت 662هـ، و " صورة الأرض " لابن حوقل...، كلها كانت مؤلفات ضمت العديد من الأعلام المكانية، لكن الغرض من هذه المصنفات كان دراسة اللغة وطبيعتها الاشتقاقية، أو التعرف على المظاهر الاجتماعية والجغرافية للعرب، ولم تكن لدراسة الأعلام دراسة لغوية محضة .

لم يقف مجال الدراسات الأماكنية على العرب فقط، بل تعدى ذلك إلى الغربيين وخاصة الأوروبيين، فاهتموا بالبحث الطوبونيمي أيضا ودرسوا الأماكن سواء في أوربا أو المغرب...، ولعل أولى الأبحاث ما أنجزه Emile Laoust والذي درس أعلام بعض من جبال الأطلس الكبير، لقد اهتم لاووس بدراسة أعلام جبل درن بالأطلس الكبير وخاصة الشق الصرفي منها لمراده في كشف الصيغ اللغوية القديمة[19] ، إضافة إلى ما قدمه Mercier Gustave في دراسة المناطق الأثرية في شمال إفريقيا[20] ودراسة Vincent Monteil حول الأماكنية الحقلية، وقد تجاوز الأوروبيون دراسة الأعلام إلى المقارنة فيما بينها بين البلدان، ونخص بالذكر ما قدمه Henry Rayanaud و Jean Del Pérugia .

[19] **Emile**. **Laoust** « contribution a une étude de la Toponymie du HAUT-Atlas ».نقلا عن **أحمد الهاشمي** 2002، ص98

[20] **Gustave**. **Mercier** « la langue lybienne et la toponymie antique l'Afrique du nord ». 1924/ P189 .

إن ظهور الأماكنية ارتبط باسم الباحث الفرنسي **ألبير دوزا** 1926 والذي قدم بحثا في أسماء الأماكن " أسماء الجبال المدن..."، ثم تزايد الاهتمام بعد ذلك بالبحث الطوبونيمي حين تأسس المركز العالمي لدراسة الأعلام سنة 1944 بلوفان، وبعده توالت الاهتمامات بشأن هذا التوجه .

3-3 مجالات الأماكنية :

إن الكشف عن دلالة الأسماء ليس بالسهل واليسير، لا من ناحية اللغة أو الدلالات الثقافية أو الاجتماعية ، كما أن الأماكنية ليست قادرة لوحدها فك الرموز اللغوية التي تكوَّن على أساسها العلم المكاني، إنما تحتاج إلى مشارب علمية أخرى تتشرب منها الآليات والمبادئ لدراسة الأسماء المكانية، كما أنها بمثابة علوم مساعدة لها لا تنفك عن تقديم المفاهيم Les Concepts التي يحتاجها الدارس للدراسة، وأهم هذه العلوم :

- ✓ علم التاريخ Science Histoire : والغرض منه دراسة الأعلام المكانية من الجانب التاريخي ، فالمؤرخ هو الذي يحدد زمن المكان ومستوطنيه ومنه اللغة التي كانت سائدة ، فيفصح العَلم عن تاريخه رغم ما يعتريه من غموض، كما نفترض من خلاله دلالاته التاريخية، وتصورات عديدة لما يوحي إليه، كما أن ما يجمعه المؤرخ يقاربه الطوبونيمي بمادته ليتأكد مما وصل إليه في دراسته .
- ✓ اللسانيات بفروعها Linguistique : يساهم علم اللسانيات وخاصة اللسانيات الاجتماعية Sociolinguistique واللسانيات الجغرافية بشكل كبير في دراسة الأعلام المكانية والكشف عن البنية اللغوية لكل علم، وكيف تَكَوَّن، وإلى أي شكل لغوي ينتمي،

ويكمن ذلك في اعتبار مادة العلم المكاني مادة لغوية بالدرجة الأولى، وتقدم اللسانيات الاجتماعية والمقارنة فائدة كبرى لدراسة أسماء الأماكن، فجل الأعلام لا يعرف قائلها بل تنسب إلى أزمنة ما وراء اللغة Méta langue، وهذا ما يجعل الباحث في حاجة إلى إعادة تصور اللغة الأصل والبحث في متغيراتها، والذي سيقدم له هذه الإمكانات هو علم اللغة الاجتماعي والتاريخي المقارن، كما أنه لا يتاح في معزل عن الدراسات اللسانية .

إن مجالات الأماكنية متعددة وكثيرة أساسها البحث في أسماء الأماكن من الجانب اللغوي أولا ثم ربطها بالسياقات التي كونتها، سواء أكانت ترتبط بالبشر (الأنثروبونيميا ANTHROPONYMIE) أو الطرق والمسالك والأحياء (الأوديونيميا ODONYMIE) أو المرتبطة بالمجاري المائية (الهيدرونيميا HYDRONYMIE)... كلها فروع عن الأماكنية والتي تتخذها كآليات للبحث عن أسماء الأماكن والكشف عن بنيتها اللغوية والاجتماعية عامة .

يتخذ الباحث في الأماكنية منهجا يمكنه من توخي الدقة والليونة في البحث وأساسه الولوج للميدان واستجماع المادة الأماكنية التي تتوارد في أذهان العشائر الاجتماعية شفهيا مع التأكد من البنية الصوتية لكل عشيرة إن كان العلم المكاني متواجدا في أكثر من منطقة، وفي المؤلفات والخرائط والمؤسسات الرسمية...، وهذا الأمر يستوجب من الباحث أن يكون ملما بالنسق اللغوي واللهجي للميدان الذي يستجمع منه المادة اللغوية...، لكي يستطيع ضبط البناء الصوتي والخطي لما يستجمعه مباشرة من الميدان .

3-4 الدراسة اللغوية والاجتماعية من منظور الأماكنية

يساهم البحث الأماكني في دراسة اللغات أواللهجات دراسة اجتماعية أكثر من باقي المباحث، كونه ينتقي المادة اللغوية التي ساهمت العشائر الاجتماعية في تكوينها، ولا يكتفي فقط بفترة تاريخية محددة في الزمن والمكان، بل يتجاوز ذلك لأن اسم المكان يرتبط بفترات تاريخية متنوعة، كما أنه مر في تكوينه عبر مجموعة من الألسن التي تعاقبت على مكان معين، هذا الأمر الذي يجعل الأعلام المكانية بنيات لغوية متغيرة كل منها يعرفنا بالنمط الذي ينتمي إليه، فتكشف الأعلام عن بنى وصيغ تواردت على المنطقة مع تحديد دلالتها اللغوية ومتغيراتها ولواصقها وزوائدها...، كما أنها تساهم في رصد عدة ظواهر لهجية ترتبط بالمماثلة والمخالفة والإبدال...

تعد أسماء الأماكن اللغة المتحجرة التي خلفها الإنسان في توارثه على المجال، فكانت تلك اللغة ملأى بالظواهر اللغوية التي تكون موضوعا للدراسة والتأمل، فرغم اعتباطية الاسم المكاني وعدم الدراية بما يمتلكه، إلا أنه يكون بوثقة تتجمع فيها الظواهر اللغوية، ومن بين ما يمكن الإشارة إليه من ظواهر لغوية والتي استخلصناها من أسماء الأماكن نورد ما يلي[21] :

[21] **لغزال محمد** " الأماكنية العربية دراسة لسانية في أسماء الأماكن بإقليم تارودانت " بحث ماستر . ص 35 – 36 . 2018

- **البنية الصرفية لأعلام الأماكن :**

العلم المكاني	الزيادة	دلالتها	العلم قبل الزيادة
طْرِيقْ الرّاعِي	راعي = الألف والياء	اسم الفاعل	رعى = راعي
حاسي لخاذم	لخاذم = الألف واللام	صفة مشبه باسم الفاعل	خذم = عمل
مربط الواد	مربط = تسكين الصوامت	اسم مكان = مفعل	مَرْبَطْ = مَرْبِطُ
مفرق الريح	مفرق = تسكين الصوامت	اسم مكان = مفعل	مَفْرَقْ = مَفْرِقُ
محارث الواد	حارث = الألف	اسم آلة = مفعل	محارثْ = محراثُ

- **اللواصق في أعلام الأماكن :**

العلم المكاني	العلم المكاني بالزيادة	حروف الزيادة	دلالتها
عين الشيخ	دار تشيخ	تشيخ = التاء	لاصقة التكثير
طريق جنان	غابة جنانات	جنانات = الألف والتاء	لاصقة الجمع
عين الشّعْبْ	عين شْعَيْبْ	شعيب = الياء	لاصقة التصغير
أورگَة	أيت ؤرگَة	زيادة " أيت "	لاصقة النسبة[22]

[22] إن لاصقة النسبة " أيت " تنضاف إلى الأعلام المكانية التي يراد نسبتها إلى العرق الأمازيغي بالمغرب عوض العربي الذي تنضاف له لاصقة "أولاد "، فكل الأعلام المضافة لها لاصقة " أيت " تمثل النسبة الأمازيغية لها ك

القاضي	والقاضي	والقاضي = الواو	لاصقة النداء
لمهارز	بولمهارز	بولمهارز = الباء	لاصقة النسبة

الملاحظ في الأعلام المكانية اشتمالها على ظواهر لغوية عديدة، تبين التفاعل الحاصل بين اللغات واللهجات من جهة، وبين اللغات واللهجات ثم المجتمع من جهة ثانية .

إن دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع جزء لا يتجزأ من مباحث الأماكنية، بل تتجاوز ذلك إلى دراسة البعد الجغرافي والسكاني والإيديولوجي... للمناطق والأماكن انطلاقا من أسمائها للوصول إلى تعميمات تتعلق بالمكان موضوع الدراسة، فيحدد الباحث المشهد البشري والطبيعي للمنطقة ويمكن أن نأخذ على سبيل المثال لا الحصر بعض الأعلام المكانية من منطقة سوس المغربية :

هناك العديد من الأسماء الأماكنية في هذه المنطقة التي تتوسط المغربي وتعكس التنوع البشري والطبيعي المستشف من خلال اسم المكان، فوجود أسماء مثل :

اسم الماكن الأصلي	ترجمته للغة العربية	المكان المسمى
حاسي الدوار	بئر القرية	بئر وسط القرية
حاسي الخاذم	بئر الخاذمة	بئر في مكان نائي
المِصْرَفْ	مجرى مائي " ساقية "	مجرى مائي
الغَابَة الْفَوْقْ	غابة اتجاه شمال القرية	غابة مشجرة

(أيت عميرة – أيت امبارك – أيت مخلوف...) ، في حين أن الأعلام العربية تنضاف لها لاصقة " أولاد " مثال (أولاد ابراهيم – أولاد محلة – أولاد عبو...)

عَيْنْ لْوَادْ	عين الوادي	عين تسقى منها المياه
وَادْ بَنِي مُحَمَّدْ	وادي منسوب لبني محمد	وادي

من خلال هذه الأمثلة المذكورة أعلاه والمستقاة من قرية " أيت امبارك " التابعة لجماعة إداومومن إقليم تارودانت سوس المغرب، يتبين أن لمشهد الطبيعي للمنطقة مشهد فلاحي قائم على الزراعة، ودليل ذلك كون الأسماء المكانية تشير دلاليا إلى أن المنطقة غنية بالمياه، أما فيما يخص البعد الإيديولوجي فيمكن الإشارة إلى هذه الأعلام التي توضح البعد الديني الإسلامي الذي تتسم به المنطقة :

اسم الماكن الأصلي	ترجمته للغة العربية	المكان المسمى
لْمْصَلَّى	المصلى	مكان لصلاة العيد
زَاوِيَةْ الشِّيخْ	زاوية الشّيخ	مكان دفن شيخ القبيلة
سِيدِي صَالح	سيدي صالح	مكان دفن ولي صالح
الجَّامعْ لْكْبِيرْ	المسجد الكبير	مسجد للصلاة
الجَّامعْ الفُوقْ	المسجد الأعلى	مسجد للتعبد

إن هذه الأعلام المكانية لها دلالة واضحة على التنوع الذي تشهده المناطق سواء على مستوى المشهد الطبيعي أو البشري الذي ارتسمت معالمه في تلك الأعلام فحافظت عليه من الاندثار لزمن ليس بالهين .

4– خلاصة :

أردنا من خلال هذا المقال أن يكون قاعدة تنطلق منها مختلف الدراسات التي تهتم بالأماكنية وباللسانيات الاجتماعية عامة ، فالعلم المكاني هو خلاصة للتفاعل اللغوي والاجتماعي والتاريخي.. لمنطقة من مناطق الوجود البشري والذي تحجرت في الأعلام المكانية تاركة لنا كنزا لغويا غنيا بالدراسة والتحليل، فالمجتمعات تتفاعل فيها اللغات المحلية واللغات الأجنبية واللهجات والدوارج ... مخلفة بذلك فسيفساء لغوية تتجسد في العلم المكاني الذي حافظ بدوره على تلك الميزة رغم مرور الزمن، والوقوف على مجموعة من الخصائص اللغوية والاجتماعية هي الكفيلة بتوضيح الصورة العامة للبنية اللغوية التي تتجسد في العلم المكاني وقد تختزل العديد من ظواهر اللغة، واللسانيات الاجتماعية ثم الأماكنية هما القادران على رسم تلك معالم عامة .

5- قائمة المصادر والمراجع :

- ✓ أحمد مختار عمر " دراسة الصوت اللغوي "، عالم الكتب، القاهرة . 1997 .
- ✓ أقا عمر 1988م : " مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر : سوس 1822-1906" ، مطبوعات كلية الآداب بأكادير، دار النجاح، الجديدة، ط2 .
- ✓ بوكاري أحمد 2005م : " الأعلام الجغرافية مصدر من المصادر الحضارية : الاسم الجغرافي تراث وتواصل " نشر المعهد الجامعي للبحث، المحمدية . المغرب . ط1
- ✓ بروكلمان كارل 1977م : " فقه اللغات السامية "، ترجمة رمضان عبد التواب، منشورات جامعة الرياض ، المملكة العربية السعودية . ط1 .

✓ د. هدسون 1985: " علم اللغة الاجتماعي "، ترجمة محمود عياد1990 ، دار العلم للملايين، بيروت ، ط3 .

✓ الزياني ابن القاسم 1986 : " تاريخ بلدة خنيفرة " تحقيق محمد أمحزون، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1 .

✓ اليوسفي عبد الله ، مساطة محمد2012: " دراسة سوسيولسانية لبعض الظواهر اللغوية "، بحث لنيل شهادة الإجازة، كلية الآداب، أكادير.

✓ الهاشمي أحمد 2001م : " الأماكنية المغربية: نموذج المشهد الطبيعي والبشري في أماكنية سوس "، أطروحة دكتوراه الدولة، أكادير .

✓ النوحي الوافي و محمد أيت حمزة 2008م : " التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة "، منشورات العهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط .

✓ السوسي محمد المختار 1960 : " سوس العالمة "، مطبعة فضالة، المحمدية . ط1

✓ عمر صابر عبد الجليل : " أسماء الأعلام السامية : دراسة لغوية مقارنة في البنية والدلالة "، دار الثقافة العربية، القاهرة .

✓ علي أزايكو 1998 " المرأة الأمازيغية بين الذات والجماعة : نظرة للأنا والمكان ".

✓ فردينان دي سوسير : " محاضرات في علم اللغة العام "، ترجمة : يوسف عزيز، مراجعة يوسف المطلبي 1990م . دار آفاق عربية، بغداد .

✓ شمعون ليڤي 2015: " الاقتراض من العبرانية إلى الدارجة المغربية "، تر، عبد الرحيم حيمد.

✓ de personnes », Christian Baylon .

✓ JACQUELINE SUBLET : 1991 « Le voile du nom essai sir le nom propre arabe » ; presses universitaires de France .

✓ AHMED SABER : 1994 « vers un répertoire de la toponymie marocaine dans les cartes et les textes portugais, espagnols et français » . ED 1, Mohammedia .

✓ Emile. Laoust : 2002 « contribution a une étude de la Toponymie du HAUT-Atlas ».

✓ خريطة المغرب : 1/100000 ، إصدار مديرية الخرائط ، وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي . الرباط ، المغرب .

❖ قصاصة تارودانت، الورقة رقم 1/ XVI /29/ NH. مؤرخة سنة 1974 .

❖ قصاصة إيغرم، الورقة رقم 2/ XVI /29/ NH. مؤرخة سنة 1974 .

❖ قصاصة أكادير ملول، الورقة رقم 1/ XVII /29/ NH. مؤرخة سنة 1974 .

❖ قصاصة أولاد تايمة، الورقة رقم 2/ XVII /29/ NH. مؤرخة سنة 1974 .

❖ قصاصة أولاد برحيل، الورقة رقم 2/ XVIII /29/ NH. مؤرخة سنة 1974 .